

سُورَةُ عَنْ فَلِي



النزل : مكية .

المقاصد :

- ١ - تقرير صدق القرآن الكريم ، والرسالة النبوية .
- ٢ - بيان مقاصد الدعوة ، وأصول الحوار في الدعوة .
- ٣ - انتصار أهل الحق ، وخسران أهل الباطل في الدارين .
- ٤ - إقامة البراهين العظيمة في الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله تعالى .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ حَمٌ تَزْيِيلُ الْكِتَبِ مِنَ اللَّهِ الْعَرِيزِ الْعَلِيمِ ۚ ۝ غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ شَدِيدٌ
الْعِقَابِ ذِي الْأَطْوَلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ مَا يُجَدِّلُ فِي مِائِذَةِ اللَّهِ إِلَّا أَذْنِينَ كَفَرُوا
فَلَا يَعْرُكُ تَقْلِيمُهُمْ فِي الْلِّكْدَنِ ۝ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَالْأَحْرَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمْتَ
كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۝ وَجَهَدُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْحَضُوهُ بِهِ الْحَقَّ فَأَخْذَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابٌ ۝ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَيْمَنَهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۝ ۱۰ ۝

التفسير:

- ١ - تَقَدَّمَ في مطلع سورة البقرة الكلام على الحروف المقطعة، وأنَّ من الحكمة في إيرادها بيان إعجاز القرآن الكريم.
 - ٢ - يمدح الله تعالى هذا القرآن الحكيم، فهو تنزيل من الله العزيز في ملكته، العليم بأحوال مخلوقاته.
 - ٣ - وهو الله الذي يغفو عن ذنوب عباده التائبين ويقبل توبتهم، شديد العقاب للمجرمين المتکبرين، صاحب الفضل على عباده المؤمنين، لا معبد بحقٍّ إلا هو سبحانه، إليه مرجع الخلائق أجمعين.
 - ٤ - ٥ - ما يجادل في آيات القرآن للتشكيك فيها وتكذيبها إلا الجاحدون توحيد الله، فلا يخدعك - أيُّها المؤمن - تَصْرُّفُهُمْ وَتَمْتَعُهُمْ فِي مَلَذَّاتِ الدُّنْيَا وَمَظَاهِرِهَا. كَذَّبَ قَبْلَ هُؤُلَاءِ الْكُفَّارِ أُمُّهُمْ، مِنْهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، الَّذِينَ كَذَّبُوا رَسُلَّهُمْ كَعَادَ وَثَمُودَ وَقَوْمَ لُوطَ وَغَيْرَهُمْ، وَعَزَّمْتَ كُلُّ أُمَّةٍ مِّنْ أُولَئِكَ عَلَى

مُحاربة رسلهم بالقتل والتنكيل ، وجادلوا رسلهم بالباطل والكذب ؛ لِيُطْلُوا به الحقَّ من الله تعالى ، فأهلكتُهم بالعذاب ، فكيف كان عذابي لهم؟ !

٦ - وكما أهلكنا المُكَذِّبين للرسل من قبلك أيُّها الرسول ، فحقَّ عليهم العذاب ، كذلك وَجَبَتْ كلمة العذاب على هؤلاء المُكَذِّبين من قومك ؛ لأنَّهم أصحاب النار ، الملازمون لها .

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - بيان عظمة القرآن الكريم .
- ٢ - اتفاق الكفار في عدائهم لرسلهم .
- ٣ - لا يُخدِّع المؤمن بما عليه الكفار من رفعة ونعمة وتَنَقُّلٍ في البلدان ؛ لأنَّهم صائرون إلى العذاب .
- ٤ - التحذير من مصير الكفار .
- ٥ - تسليمة النبي ﷺ .

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ، يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَسَتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ أَمْأَلُوا
رَبَّنَا وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاعْفُرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِيمَ عَذَابَ
الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَادْخِلْهُمْ جَنَّتِ عَدْنِ الْأَنْجَى وَعَدْنَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ
وَدُرْيَتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِيمُ الْسَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِيَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَ إِذِ
فَقَدْ رَحْمَتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ
أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفَسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمْتَنَا أَشْتَى
وَاحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِدُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى حُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ
اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ
أَيْكِتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الْأَدِينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكُفَّارُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ، عَلَى مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ النَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ
الْيَوْمُ لِلَّهِ الْوَحْدَةُ الْفَهَارِ ﴿١٦﴾

التفسير:

٩ - ٧ - الذين يحملون عرش الله سبحانه من أشراف الملائكة ومن حول العرش، كلهم يلهجون بالتسبيح بحمد الله ﷺ، ويصدقون به سبحانه، ويطلبون من الله المغفرة للمؤمنين، متضرعين بدعا عظيم كريم: يا ربنا وسعت رحمتك وعلمتك كل شيء من مخلوقاتك، فاغفر ذنوب المؤمنين الذين تابوا من الشرك والمعاصي واتبعوا دين الإسلام، واصرِف عنهم عذاب نار جهنَّم.

يا ربنا وادخلهم جنات يقيمون فيها أبداً، وقد وعدتهم إياها في الدنيا، وأدخل معهم الصالح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم. إنك أنت العزيز في ملوكتك، الحكيم في تدبير مخلوقاتك، واحفظهم من فعل المُنكرات والفواحش. ومن حفظته منها ومن عاقبها يوم القيمة فقد رحمته، وأنقذته من

عذاب النار. وذلك المقام الكريم من الحفظ والنجاة هو الفلاح العظيم بجنة النعيم.

١٠ - ١٢ - يَدُمُ اللَّهُ تَعَالَى الْكُفَّارُ، وَيُبَيِّنُ مَصِيرَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُنَادِيهِمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَهُمْ فِي النَّارِ: لَبَعْضُ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ فِي الدُّنْيَا أَكْبَرُ مِنْ كَرَاهِيَتِكُمْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ وَأَنْتُمْ فِي النَّارِ، حِينَ دُعِيْتُمْ إِلَى الإِيمَانِ فِي الدُّنْيَا فَكَفَرْتُمْ. قَالَ الْكُفَّارُ: يَا رَبَّنَا أَمْتَنَا إِمَاتَتِنَا حِينَ كُنَّا فِي أَصْلَابِ آبَائِنَا، فَأَحْيَيْنَا فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ انْقَضَى أَجَلُنَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ثُمَّ أَحْيَيْنَا لِلْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَاعْتَرَفْنَا بِجَرَائِمِنَا، فَهَلْ إِلَى خَرْجِنَا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ؟ ذَلِكُمُ الْعَذَابُ الشَّدِيدُ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ هُوَ بِسَبِبِ كُفْرِكُمْ بِدُعْوَةِ تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ يُجْعَلْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْعِبَادَةِ تُصَدِّقُوا بِذَلِكَ! فَالْقَضَاءُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْكَبِيرُ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ مُتَصَاغِرٌ.

١٣ - ١٦ - هُوَ سَبَحَانَهُ الَّذِي يُرِيكُمْ دَلَائِلَ قَدْرَتِهِ وَوَحْدَانِيَتِهِ، وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّحَابِ مَطْرًا يَكُونُ سَبَبَ الرِّزْقِ الْكَرِيمِ. وَمَا يَتَّعَظُ بِتِلْكَ الْآيَاتِ إِلَّا مَنْ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ وَالطَّاعَةِ، فَاعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْعِبَادَةِ، وَلَا كُرْهُ الْكَافِرُونَ ذَلِكُمُ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى الَّذِي ارْتَفَعَتْ دَرَجَاتُهُ ارْتِفَاعًا لَا مِثْلَ لَهُ، وَهُوَ صَاحِبُ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، يُلْقِي الْوَحْيَ مِنْ أَمْرِهِ سَبَحَانَهُ عَلَى مَنْ اصْطَفَى مِنَ الرُّسُلِ، لِيُحَذِّرَ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي تَجْتَمِعُ فِيهِ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ لِلْحِسَابِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَيَقُولُ لَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: مَنِ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ فِي هَذَا الْيَوْمِ؟ فَيُجِيبُ سَبَحَانَهُ: اللَّهُ الْوَاحِدُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، الْفَهَارُ لِغَيْرِهِ عَلَى مَا يَرِيدُ.

الفوائد والاستنباطات:

١ - خَصَّ فِي الآيَةِ (٧) طائفةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوصَوفَةً بِأَوْصَافٍ تَقْتَضِي رُفْعَةَ شَأنِهِمْ. وَفِي ذَلِكَ تَنْوِيهٌ بِشَأنِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ هَذِهِ الطائفةُ الشَّرِيفَةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

٢ - إِثْبَاتُ الْعَرْشِ لِلَّهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

- ٣ -** في الآية (٧) إخبار مستقبلٍ عن استغفار الملائكة حَمَلَةِ العرش للمؤمنين في الماضي والحاضر والمستقبل.
- ٤ -** في الآية (١٣) إخبار مستقبلٍ بأنَّ الله تعالى هو الذي يُنَزِّل الرزق لعباده.

﴿الْيَوْمَ تُحْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمٌ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذَا الْحَنَاجِرُ كَظِيمٌ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَلِيلَةً أَلَّا يَعْلَمُ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَعْلَمُونَ إِشَائِيٌّ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَيْقَبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ فُوهَةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخْذَهُمُ اللَّهُ بِذِنْبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أُنْكَارٍ مِنْ وَاقِيٍّ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخْذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾

التفسير:

١٧ - اليوم - يوم القضاء بين العباد - ثُتاب كلُّ نفس بما قدَّمتُ في الدنيا من خير وشرّ، لا يُظلمُ فيه أحد شيئاً، لا بنقض ثواب ولا بزيادة عقاب. إنَّ الله يُحااسبُ جميع الناس سريعاً.

١٨ - وَأَنْذِرْهُمْ - أيُّها الرسول - من يوم القيمة القريب حين تضطرُّب القلوب، وتکاد تخرج من الحناجر من شدة الرعب، مُمتلئة قلوبهم غمّاً وحزناً، وليس للكافرين من قريب أو صديق، ولا شافع يُطَاعُ في شفاعته لهم.

١٩ - ٢٠ - يُحذِّر الله تعالى عباده مِنْ نظر المسارقة المُحرَّم، فإنَّه سبحانه يعلم بذلك ويحاسب عليه، ويعلم أيضاً ما يُضمِّرُ في النفس من خير أو شرّ، ويُخبر بأنَّه سبحانه يحكم بالعدل بين العباد، والآلهة التي تُعبد من غير الله لا يقدرون على ذلك. إنَّ الله تعالى هو السميع للأقوال، العليم بالأحوال والأفعال.

٢١ - ٢٢ - أَوَلَمْ يَعْتَبِرْ هُؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي أَسْفَارِهِمْ بِمَا يَرَوْنَ مِنْ آثَارٍ

ديار المكذّبين؟ فِي شاهِدوا ما أَحْلَّ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ الدِّمَارِ وَالنَّكَالِ . كَانُوا أَشَدَّ قَوَّةً وَبِطْشًا ، وَأَقْوَى آثَارًا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْقَلَاعِ وَالْقَصُورِ ، فَدَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِسَبِبِ جَرَائِمِهِمْ ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَنْ يَحْفَظُهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْعَقَابِ . ذَلِكَ الْعَقَابُ الشَّدِيدُ بِسَبِبِ تَكْذِيبِهِمْ لِرَسُولِهِمُ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْدَلَائِلِ الْوَاضِحةِ . إِنَّهُ قَوِيٌّ لَا يُغْلِبُهُ أَحَدٌ ، شَدِيدُ الْعَقَابِ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ .

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - يوم القيمة قريب، ولا يعلم أحد متى يأتي، فِعْلُمُهُ خاص بالله، لذلك سُمي يوم الأزمة.
- ٢ - النبي ﷺ مكلف بالإذار، والهداية توفيق من الله تعالى.
- ٣ - في الآية (١٩) إخبار مستقبلي عن عِلْمِ الله المطلق، فهو يعلم ما تختلس العيون من نظرات، وما يُضمِّره الإنسان في نفسه من خير أو شر.
- ٤ - وجوب طاعة ما جاء به الله ﷺ لأنَّه حق.
- ٥ - قال ابن عاشور: «جملة ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ مقررة لجمل ﴿يَعْلَمُ خَلِينَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾ [غافر: ١٩ - ٢٠]. فتوسيط ضمير الفصل مفيد للقصر، وهو تعريض بأنَّ آلهتهم لا تسمع ولا تبصر، فكيف ينسبون إليها الإلهية؟». (التحرير والتوضير: ١٧٥/٢٤).

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِتَابِعِنَا وَسُلْطَنِ مُهِيمِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا أَفْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكُفَّارِ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرْنِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلَيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ أَهْلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَنْفَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُنْ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُنْ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَقُومُ لَكُمُ الْمَلَكُ الْيَوْمَ ظَلَمَهُ إِنَّ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهَدِيَكُمْ إِلَّا سَيِّلَ الرَّشَادَ ﴿٢٩﴾

التفسير:

٢٣ - ٢٥. وقساًماً لقد أرسلنا موسى ﷺ بآياتنا المعجزات التسع، وحجّة ساطعة دالة على صدقه إلى زعماء الكفر: فرعون وهامان وقارون، فسخروا منه، وأشاعوا أنه ساحر عليم السحر، وكذاب فيما جاء به من المعجزات الباهرة، فلما جاءهم موسى بتلك المعجزات من عندها كذبواه، وأمرموا بحرث الإبادة لأبناء المؤمنين بموسى، واستبقاء النساء للخدمة والمهانة، وما تدبّر مكر الكفار إلا في ضياع وهلاك.

٢٦ - وقال فرعون بغزور لزمرةه: دعوني أقتل موسى، وليدع ربّه لينقذه مني. إنني أخاف إن لم أقتله أن يُغيّر ما أنتم عليه من العبادة، أو أن يفسد في أرض مصر بإثارة الفتنة.

٢٧ - وقال موسى ﷺ: إنني استعن بربّي وربّكم من كلّ مستكبر عن اتباع الحقّ، لا يُصدق بيوم الحساب.

٢٨ - ٢٩. وقال رجل مؤمن من قوم فرعون يُخفى إيمانه مُنكراً على قومه: أتقصدون قتلَ رجل لا ذنب له إلا أن يقول ربّي الله وحده وقد جاءكم

بالمعجزات الواضحة من ربّكم التي تدلّ على صدقه؟ وإن يكُن كاذبًاً فعليه إثْمٌ كذبه، وإن يكُن صادقاً في رسالته يُصِبُّكم بعض الذي يَعْدُكم به من العقاب. إنَّ الله لا يُوقِّق للحقّ مَنْ هو متتجاوز للحَدّ، كثير الكذب، يا قوم لكم اليوم مُلْكٌ مصر دون غيركم، فمَنْ يمنعني من عذاب الله إنْ جاءنا بعد قَتْلِ موسى عليه السلام؟ فرَّدَ فرعون بِتَكَبُّرٍ ومكر: ما أُشِيرُ عَلَيْكُمْ مِنَ النَّصْحِ إِلَّا بِمَا أُشِيرُ عَلَى نُفُسي، وما أُرْسِدُكُمْ إِلَّا إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيفِ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - يؤتي الله رُسُلَه دلائل وآيات ومعجزات، تدلّ على أنه أرسلهم.
- ٢ - في الآية (٢٥) سُمِّي الرأيُ كيداً؛ لأنَّه شاوروا فيه فيما بينهم دون أن يعلم بذلك موسى والذين آمنوا معه، وأنَّهم أضمروه ولم يعلنوه.
- ٣ - الطغاة يظهرون بمظهر المصلحين الحريصين على الناس، ويَتَّهِمُونَ الدُّعاة بالإفساد والتخريب.
- ٤ - قد يكون الرجل الذي آمن هو أخناتون ولد فرعون، وذلك حسب دراسة فيها أدلة نقلية وعقلية. (ينظر: فك أسرار ذي القرنين ويأجوج وmajog جوج ص ١٨٨ - ٢٠٥). ويؤيد هذا أن الرجل من ذرية فرعون، وكذلك لم يستخدم فرعون الرد المباشر على المؤمن ولم يهدده كفعله مع موسى عليه السلام.
- ٥ - الاستفهام في «أَنْقَتُلُونَ» استفهام إنكار، أي يصبح بكم أن تقتلوا نفساً تقول ربي الله.

﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَيْتَكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٢٩﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمٍ نُوحٍ
 وَعَادِ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُظُلُّمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ وَيَنْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَيْتَكُمْ يَوْمَ
 النَّسَادِ ﴿٣١﴾ يَوْمَ تُولَّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ هَا لَهُ مِنْ هَادِ
 وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلٍ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا
 هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضْلِلُ اللَّهُ مِنْ هُوَ مُسْرِفٌ
 مُرْتَابٌ ﴿٣٢﴾ الَّذِينَ يُجَدِّلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ
 وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَهَارٍ ﴿٣٣﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
 يَهْمَدُنَّ أَبْنَى لِصَرْحًا لَعَلَى أَبْعَثُ الْأَسْبَابِ ﴿٣٤﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ
 مُوسَى وَإِنِّي لَأَظْنُهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَرَّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدِّدَ عَنِ السَّيِّلِ وَمَا
 كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٥﴾

التفسير:

٣٣ - ٣٠. - وقال الرجل المؤمن من آل فرعون لفرعون وحاشيته مُحذراً ناصحاً: إنني أخاف عليكم عاقبة تكذيب موسى ﷺ فيدرركم مثل أيام العذاب التي أهلكت الأمم السابقة الذين تحذّروا على أنبيائهم وكذبوا عليهم، مثل حال قوم نوح ﷺ وعاد وثمود ومن جاء بعدهم، فقد دمرهم الله بسبب تكذيبهم، وليس الله بظالم عباده. ويَا قوم إِنِّي أَخَافُ عَيْتَكُمْ عذاب يوم القيمة حين يستغيث الكفار بعضهم بعض، ويوم تفرون هاربين، ليس لكم من الله ناصر يعينكم. وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ فَمَا لَهُ مِنْ مُرْشِدٍ يَهْدِيهِ إِلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ.

٣٤ - ٣٥. - وقسمًا لقد جاءكم نبئ الله يوسف ﷺ من قبل موسى ﷺ بالمعجزات الساطعة الدالة على صدقه، فلا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ عَلَى نَهْجِ آبَائِكُمُ الَّذِينَ كَذَبُوا رَسُولَهُ حَتَّى إِذَا مَاتُ قَلْتُمْ: لَن يَرِسُلَ اللَّهُ رَسُولًا مِنْ بَعْدِهِ. مثل إضلالكم يُضْلِلُ اللَّهُ الْطُّغَاةَ الَّذِينَ يَشْكُونَ فِي وَحْدَانِيَتِهِ سَبْحَانَهُ، الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي الدَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ الْمُنَزَّلَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَلَا بَرْهَانٍ جَاءُهُمْ

من عنده سبحانه. كَبُرَ ذلك الجدل سخطاً من عند الله وعند المصدّقين به سبحانه. مثلَ هذا الخَتْمِ على القلوب يختتم الله على قلب كلّ متكبّر على الحقّ، طاغية بشدّة ظلمه.

٣٦ - وقال فرعون بمكر وكبُر لوزيره هامان: يا هامان ابن لي قصراً عالياً؛ لعلّي أصل إلى طرق السموات، فأطلّع إلى إله موسى. وإنّي لأطْنُ موسى كاذباً في دعواه. ومثلَ ذلك التزيين زَيْن الشيطان لفرعون عمله الباطل فرأه حقاً، ولم يهتد بضلاله إلى طرق الحقّ. وما مَكْرُ فرعون إلا في خسارة وهلاك.

الفوائد والاستنباطات:

١ - على الداعية أن يستخدم أحسن الأساليب المؤثرة في الدعوة، كما فعل الرجل المؤمن.

٢ - تلتقي أحزاب الكفر على حرب الحقّ على اختلاف الزمان والمكان، ولكنهم خاسرون هالكون.

٣ - في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ يَأْبَيْنَتِ﴾ تأكيد الخبر بـ«قد» ولام القسم لتحقيقه؛ لأنّهم مظنة أن يُنكِّروه لبعد عهدهم به.

٤ - اختيار المضارع في ﴿يُجَنِّدُونَ﴾ لإفادته تَجَدُّد مجادلتهم وتكررها، وأنّهم لا يَنْفَكُون عنها. وهذا صريح في ذمّهم، وكنایة عن ذمّ جدالهم الذي أوجب ضلالهم.

٥ - في الآية (٣٥) إخبار مستقبلي عن الذين يجادلون في آيات الله بغير حجّة، فإنّ الله يغضّب عليهم، ويطبع على قلوبهم.

٦ - انتصب ﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ﴾ على البدل المطابق لقوله: ﴿أَلَا سَبَبَ﴾. وجيء بهذا الأسلوب من الإجمال ثم التفصيل للتشويق إلى المراد بالأسباب؛ تخفيماً لشأنها.

٧ - الطّغّاة يريدون إشغال الأتباع وإلهاءهم؛ لينصرفوا عن الدعوة والدّعاة، كما فعل فرعون عندما طلب إلى هامان بناء الصرح.

٨ - بُنيَ فعل ﴿زَيْن﴾ للمجهول؛ لأنّ المقصود معرفة مفعول التزيين

لا معرفة فاعله، أي: حصل له تزيين سوء عمله في نفسه، فحسب الباطل حقاً، والضلال اهتماء.

﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُولُ أَتَيْعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٨﴾ يَقُولُمْ إِنَّمَا هَذِهِ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٢٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا
مِثْهَا وَمَنْ عَمِلَ صَلِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
يُرْزَقُونَ فِيهَا بِعَيْرٍ حِسَابٍ ﴿٣٠﴾ وَيَقُولُمْ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَوَةِ وَنَدْعُونَكُمْ إِلَى
النَّارِ ﴿٣١﴾ تَدْعُونَنِي لَا كُنْ فُرِّبِ اللَّهَ وَأَشْرِكْ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى
الْعَرِيزِ الْغَفَرِ ﴿٣٢﴾ لَا جَرْمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ
مَرَدَنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٣٣﴾ فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ
وَفُرِضَ أَمْرِيَتْ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٤﴾ فَوَقَدْهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا
وَحَاقَ بِيَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٣٥﴾ النَّارُ يُعَصِّبُونَ عَلَيْهَا عُدُواً وَعَشِيَّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
أَذْخُلُوا إِمَالِ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٣٦﴾﴾

التفسير:

٤٠ - ٤٠ - وقال الذي صدق بالحق من قوم فرعون مؤكداً نصيحته وخطابه باستمالة قومه بنداء النسب: يا قوم اقتدوا بي أرشدكم طريق الحق. يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متنة زائلة، وإن الآخرة هي الحياة الباقية، فمن عمل في الدنيا معصية فلا يجزى إلا عقاباً على قدر معصيته عدلاً من الله. ومن عمل عملاً صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن بالله ورسله فأولئك أصحاب الدرجات العالية، يدخلون الجنة فضلاً من الله، فيرزقهم فيها رزقاً كريماً لا حدود له ولا انقطاع.

٤٤ - ٤٤ - وقال الرجل المؤمن مستعطفاً قومه بالنسب: ويَا قوم أخبروني كيف أدعوكم إلى طريق الهدایة ثم الجنة، وتدعونني إلى الغواية ثم النار، تدعونني إلى تكذيب الله تعالى، والشرك به في عبادة من ليس لي به

علم أنه يستحق العبادة من دونه، وأنا أدعوكم إلى الله العزيز في ملكته وفي انتقامه، الغفار لمن تاب من عباده. حقاً يقيناً أنَّ ما تدعونني إليه من الآلهة ليس بمقدوره إجابة دعاء من يدعوه في الدنيا والآخرة، وأنَّ مصيرنا جميعاً إلى الله تعالى يوم القيمة، وأنَّ الطغاة المتمردين على الحق هم أهل النار ووقودها، فستذكرون صدق كلامي عندما يُحْلَّ بكم العذاب، وأتوكل على الله. إِنَّه سبحانه وبصیر بأحوال جميع العباد.

٤٥ - ٤٦ - فكانت نتيجة هذه النصيحة الوقاية من عقوبة الله تعالى التي أصابت فرعون وقومه بسبب مكرهم، فقد أهلكوا بالغرق، ثم تلاهم العذاب في قبورهم، فهم يُعرضون على النار صباحاً ومساءً حتى قيام الساعة، فيأمر الله تعالى الملائكة: أدخلوا آل فرعون النار التي فيها أقسى العذاب.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - على الداعية أن يُبلغ دعوته، ويحرص على نصح قومه بما يراه من وسائل وأساليب ملائمة.
- ٢ - قوله: «مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْثَى» بيان لما في «مَنْ» من الإبهام من جانب احتمال التعميم، للفظ «ذَكَرَ أَوْ أَنْثَى» مراد به عموم الناس بذكر صنفيهم تنصيصاً على إرادة العموم.
- ٣ - في الآية (٤٠) قوله تعالى: «مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهُ» وقف نبوى، وينظر: تفسير سورة النساء الآية (١٧٣)، وسورة الأنعام الآية (٦٥).
- ٤ - موافقة دعوة الرجل المؤمن لدعوة موسى عليه الصلاة والسلام، وهو دليل على أن هذا الرجل متاثر بدعة موسى عليه الصلاة والسلام.
- ٥ - قوة مناظرة الرجل المؤمن لقومه.
- ٦ - استخدام أسلوب الاستعطاف في الدعوة، إذ جاء حواره بلفظ: «يَقُولُ» ويشمل فرعون وهامان وقارون وأتباعهم.
- ٧ - تمييز عذاب فرعون وأتباعه في القبر بعرضهم على النار في الصباح والمساء.

﴿وَإِذْ يَحَاجُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الْمُضْعَفُونَ لِلَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ بَعْدًا فَهَلْ أَنْتُمْ
مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴾٤٧﴿ قَالَ الَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلُّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ
حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾٤٨﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوكُمْ لِيُحَقِّقَ عَنَّا يَوْمًا
مِّنَ الْعَذَابِ ﴾٤٩﴿ قَالُوا أَوْلَمْ تَأْتِنَا رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَكَادُوا وَمَا
دُعَنُوا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾٥٠﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ
يَقُومُ الْأَشْهَدُ ﴾٥١﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ الْلَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾٥٢﴿
وَلَقَدْ أَنْذَنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴾٥٣﴿ هُدَىٰ وَرِزْكَىٰ لِأُولَئِ
الْأَلَّبَىٰ ﴾٥٤﴿ فَاصْبِرْ إِنَّكَ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَيَّحْ حَمَدِ رَبِّكَ بِالْعَشِّ
وَالْإِبْكَارِ ﴾٥٥﴿ إِنَّ الَّذِي يُجَدِّلُونَ فِي إِيمَانِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ
إِلَّا كِبِيرٌ مَا هُمْ بِكَلْغِيَهٖ فَأَسْتَعِذُ بِاللَّهِ إِنَّمَا هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾٥٦﴾

التفسير:

٤٧ - يُذَكِّرُ الله تعالى بالحوار بين أهل النار حين يتخاصمون في النار، فيقول الأتباع لسادتهم المتكبرين: إننا كنا في الدنيا أتباعاً مطاعين لكم، فهل أنتم تدفعون عنّا جزءاً من عذاب النار؟ فرداً عليهم القادة المتكبرون في الدنيا: إننا جميعاً في نار جهنّم لا مخرج منها؛ لأنَّ الله تعالى قد قضى بين العباد بدخول المؤمنين الجنة والكافرين النار، فلا نستطيع أن نُحَقِّف عنكم شيئاً من العذاب. ويلتمس أهل النار جميعاً من الملائكة المُؤَكَّلين بالعذاب أن يشفعوا لهم عند الله؛ ليُحَقِّفَ عنهم يوماً واحداً من عذاب النار.

٤٨ - ولكنَّ هذا الطلب لا يُستجاب له، بل إنَّ الملائكة من حزنة جهنّم يُرْدُون على أهل النار بالتنكيل والتقرير: أ ولم تأتكم رسالكم من عند الله بالحجج الساطعة؟ فاعترفوا بذلك وقالوا: بلـ. فرداً عليهم خزنة جهنّم مُتَبَرِّئين من الدعاء لهم: فادعوا أنتم، وليس دعاء الكفار إلا في ضياع، فلا يُستجاب له.

٤٩ - يُؤكِّد الله تعالى البشرى بنصر رسله وأتباعهم من المؤمنين في الحياة الدنيا ويوم القيمة، يوم تشهد الملائكة للأنباء والرسل بالبلاغ، في

ذلك اليوم لا تنفع أعذار الكُفَّار، ولهم الطرد من رحمة الله، وسوء الدار
بعذاب النار.

٥٤ - وقُسماً لِقد آتينا موسى عليه السلام التوراة والمعجزات التسع،
وجعلنا بني إسرائيل يتوارثون التوراة جيلاً بعد جيل، فيها هداية إلى طريق
الْحَقِّ، وموعظة من خطورة الباطل لأصحاب العقول السليمة.

٥٥ - فاصبر - أيها الرسول - على أذى الناس. إنَّ وعد الله بالنصر
على الأعداء حُقْق ثابت، واستغفر لذنبك لتقتدي بك الأُمَّةُ، وواطِبْ على
التسبيح لله المقربون بالحمد له والثناء عليه في المساء والصباح. إنَّ الذين
يُجاذلون في آيات الله المسموعة والمشاهدة بغير حُجَّةٍ صحيحة ما في صدورهم
إلا تكُبُّر عن اتّباع الحق، ما هم ببالغي مُرَادِهِم في التغلب على المؤمنين،
فالتجئ إلى الله من شرورهم. إنَّه هو السميع لأقوالهم، البصير بأحوالهم.

الفوائد والاستنباطات:

١ - قال ابن عاشور: «في الآية (٤٨) عبرة لزعماء الأمم وقادتهم أن يحدروا الارتماء بأنفسهم في مهاوي الخسران، فيوقعوا المقتدين بهم في تلك المهاوي، فإن كان إقدامهم ومحاورتهم بأنفسهم وأممهم على علم بعواقب ذلك، كانوا أحرى بإلزام المذمَّة والخزي في الدنيا، ومضاعفة العذاب في الآخرة». (التحرير والتنوير: ٢٤/٢١٢).

٢ - في الآية (٥١) إخبار مستقبلٍ بِأنَّ الله ينصر رسُلَهُ والمؤمنين في
الحياة الدنيا والآخرة.

٣ - قد يكون النصر مادياً بالتمكين في الأرض، وقد يكون مَعْنَوِيًّا في
الثبات على الحق.

٤ - على المؤمن أن يصبر على ما يُواجهه من أذى الأعداء، وأن يُوقن
بالغَرَج من الله.

٥ - الإكثار من ذِكْرِ الله وتسبيحه وحمده واستغفاره، يُقرِّب المؤمن من
الله، كما فعل رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٦ - تنكير كَبَرٌ للتعظيم، أي: كَبُرُ شديد بتعُدُّ أنواعه، وتمكُنه من
نفوذه.

٧ - جملة ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ تعليل للأمر بالدِّوام على الاستعاذه.

﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ حَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
 ٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءاْمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسْوِءُ قَلِيلًا مَا
 نَتَذَكَّرُونَ
 ٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَّةٌ لَا رَيْبٌ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ
 وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُوكُمْ إِسْتَجِبْ لِكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاهِرِينَ
 ٥٩﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَيَّلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
 النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ
 ٦٠﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا
 إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ تُوفِّكُونَ
 ٦١﴾ كَذَلِكَ يُوفَّكُ الَّذِينَ كَانُوا بِغَايَتِ اللَّهِ يَجْحُدُونَ
 ٦٢﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوْرَكُمْ فَأَحَسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنْ
 الْطَّيِّبَاتِ
 ٦٣﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
 ٦٤﴾ هُوَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 ٦٥﴾ هُوَ فَكَادَ عُوهُ مُخَلِّصِينَ لَهُ الَّذِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

التفسير:

٥٧ - ٥٨ . يُبيّنُ الله تعالى عَظَمَة قدرته في الخلق، وسهولة أمر البعث عليه: لَخَلْقُ الله للسموات السبع والأرضين السبع أكبر من حَلْقِ النَّاسِ وإحياءهم بعد موتهم ، ولكنَّ أكثر العباد لا يعلمون ذلك ، وكما لا يستوي الأعمى والبصير ، كذلك لا يستوي المؤمن الذي يعمل بطاعة الله ، والمُكَذِّبُ الله الذي يقرف الجرائم . قليلاً ما تعظون أيها العباد .

٥٩ - إِنَّ الْقِيَامَةَ لَآتِيَّةٌ قَطِعاً لَا شَكَّ فِيهَا ، ولكنَّ أكثر العباد لا يؤمنون بذلك .

٦٠ - وقال خالقكم ومُدَبِّر أمركم : أَيُّهَا النَّاسُ اسْأَلُونِي أُعْطِكُمْ ، إِنَّ
 الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ عَنِ دُعَائِي وَطَاعَتِي سَيَدْخُلُونَ نَارَ جَهَنَّمَ صَاغِرِينَ .

٦١ - يُخبر الله تعالى عن عظيم قدرته في فضله على العباد : الله وحده هو الذي جعل الليل مظلماً لراحتكم ، والنهر منيراً لمعايشكم . إِنَّ اللَّهَ لصاحب فضل على الناس كلهم ، ولكنَّ أكثرهم لا يشكرون الله على هذا

الفضل. ذلکم الله العظیم ربکم أبدع خلقاً كلّ شيء، لا إله يستحق العبادة غيره، فكيف تعدلون عن الإيمان به، وتبعدون غيره؟

٦٣ - مثلَ هذا الانصراف من الحقِّ إلى الباطل يُصرف كلُّ مَنْ كَذَّبَ بآيات الله تعالى.

٦٤ - يُخبر الله تعالى عن فضله الكبير على الناس في معاشرهم وخلقهم: الله وحده الذي سخر لكم الأرض مستقراً لكم لمعايشكم، والسماء سقفاً لحمايتكم ورزقكم، وخلقكم في أحسن هيئة، ورزقكم من المطاعم والمشارب المستلذة الحلال. ذلکم الله الذي رزقكم هو ربکم، فتعاظم وكثُر خيره وإحسانه، هو الحبي الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بعظمته، لا إله غيره، فادعوه وحدَه مخلصين له الطاعة والعبادة، الثناء الكامل والشكر لله خالق العالمين، ومدبر شؤونهم.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - الردُّ على منكري البعث.
- ٢ - توبیخ الذين كذبوا بقيام الساعة.
- ٣ - البشرى باستجابة الله تعالى الدعاء.
- ٤ - وجوب الشكر على نعمة السكن في الليل، والكسب في النهار.
- ٥ - الإشارة إلى نعمة تمهيد الأرض للحياة، ونعمة بناء السماء، وجعلها سقفاً للأرض.
- ٦ - بيان عظمة الله تعالى من خلال مخلوقاته.

قُلْ إِنِّي نُهِيَتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشْدَادَكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُؤْفَى مِنْ قَبْلِ وَلَبَّاعُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجْدِلُونَ فِيْ إِيمَانِ اللَّهِ أَنَّ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذَا أَلْأَغْلَلُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَسِيلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيرِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ شَرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلَّوْا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضْلَلُ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيلِنَ فِيهَا فَيُسْكَنُ مَثْوَي الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكِإِمَا تُرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّنَكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

التفسير:

٦٦ - يأمر الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ أن يبلغ أمهاته النهي عن عبادة ما سوى الله تعالى؛ لما أنزل عليه من الآيات المسموعة الواضحة والمشاهدة من عنده سبحانه، وأن يبلغ بأنه أمر أن يخضع بالطاعة لله تعالى رب الخلق أجمعين.

٦٧ - ٦٨ - هو الله الذي خلقكم - أيها الناس - في الأصل من تراب بخلق أبيكم آدم ﷺ، ثم جعل تكاثركم بعد آدم ﷺ من منيّ يصير دماً جاماً، ثم يخرجكم أطفالاً بعد أطوار أخرى، ثم لتبلغوا كمالكم في القوّة والعقل إلى أن تصيروا في سن الشيخوخة، ومنكم من يموت قبل ذلك، ولتلبلغو بهذه الأطوار المعدّدة أجيلاً مسماً تنتهي عنده أعماركم، ولكي تعقلوا تدبر الله لخلقه، وأنه هو وحده المعبود بحق سبحانه، هو الذي وحده قادر على الإحياء والإماتة، فإذا قضى أمرًا فإنما يقول له: ﴿كُن﴾، فيكون كما أراد الله.

٦٩ - ٧٢ - ألا تعجب - أيها الرسول - من الكفار الذين يجادلون بآيات الله المسموعة والمشاهدة ويُشكّون فيها كيف يَعْدِلُون عنها؟ ومن صفتهم: أنّهم كذبوا بالقرآن وبالكتب السابقة المُنَزَّلة من عند الله، فسوف يرون عاقبة تكذيبهم حين تُوضّع القيود الحديدية في أعناقهم، والسلسل في أيديهم وأرجلهم، تسحبهم زبانية العذاب في الماء المغلي، ثم تُوقّد بهم نار جهنّم.

٧٣ - ٧٧ - ثم يُقال لهم توبّيحاً: أين الأصنام والأوثان التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ فيجيبون معتبرين: ذهبوا عنّا فلم ينفعونا، بل لم نكن نعبد شيئاً يستحق العبادة في الدنيا. مثل ذلك الضلال يُضلل الله المكذبين به، فلا يهتدون إلى الحق. ذلكم الضلال الكبير بسبب ما كنتم تُظهرونه في الدنيا من البهجة والسرور بالمعصية والباطل، وبسبب تكبّركم وبطريقكم، ويقال لهم ذمّاً وتوبّيحاً: ادخلوا من أبواب جهنّم السبعة ماكثين فيها أبداً، فبئس مأوى المتكبّرين على الحق. فاصبر - أيها الرسول - على أذاهم، إنّ وعد الله بنصركم عليهم حقّ لا ريب فيه. فإن أريناك بعض الذي نَعِدُهم من العقاب فذلك هو المطلوب، أو نتّوّفينك قبل رؤية عقابهم، فإنينا مصيرهم يوم القيمة.

الفوائد والاستنباطات:

١ - في الآية (٦٨) إخبار مستقبلٍ عن قضاء الله تعالى أنه نافذ في عباده في الماضي والحاضر والمستقبل.

٢ - على المؤمن الصبر على ما يُواجهه من الأذى، مع اليقين بتتحقق وعده الله بنصر الحق، وهزيمة الباطل.

٣ - حذف مفعول **﴿يَعْلَمُون﴾** لدلالة **﴿كَذَّبُوا بِالْكِتَبِ﴾** عليه، أي: يتحققون ما كذبوا به.

٤ - في قوله: **﴿فَيَسَّرَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾**، والمخصوص بالذم محذف؛ لأنّه يدل عليه ذكر جهنّم أي: فبئس مثوى المتكبّرين جهنّم.

٥ - عدل عن ضمير (هم) إلى الاسم الظاهر وهو **﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾** للإشارة إلى أنّ من أسباب وقوعهم في النار **تَكَبُّرُهُمْ** على الرسل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ
وَمَا كَانَ رَسُولٌ أَنْ يَأْتِي بِيَاتٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَهُ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ
الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٩﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَمَ لِرَبَّكُوْمُ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَكُمْ
فِيهَا مَنَفْعٌ وَلَتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلَكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨١﴾ وَيُرِيكُمْ
ءَيْتِهِ فَأَيَّءَيْتِ اللَّهَ تُنَكِّرُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَدِيقَةُ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَشَارَ فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَهَاقَ بِهِمْ مَا
كَانُوا بِهِ يَسْتَهِزُونَ ﴿٨٤﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَا قَالُوا إِنَّا مَأْمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كَانَ
مُشَرِّكِينَ ﴿٨٥﴾ فَأَمَّا يُكَفِّرُ بِمَا يَنْقُعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَا سُنْتَ اللَّهِ الْأَكْرَبِيَّ قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ
وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكُفَّارُونَ ﴿٨٦﴾

التفسير:

٧٨ - وَقَسْمًا لَقَدْ أَرْسَلْنَا رَسُلًا إِلَى أُمَّهِمْ مِنْ قَبْلِكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ، مِنْهُمْ
مَنْ أَخْبَرْنَاكَ بِقَصَصِهِمْ بِالْوَحْيِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَذْكُرْ لَكَ أَخْبَارَهُمْ، وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِي بِمَعْجِزَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، فَإِذَا جَاءَهُ أَمْرُ اللَّهِ بِنَزْولِ الْعِقَابِ عَلَى
الْكُفَّارِ فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ حُكْمٌ بِالْعِدْلِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ، فَنُنْجِي
الْمُؤْمِنِينَ، وَهُلْكَ أَهْلُ الْبَاطِلِ.

٧٩ - ٨١ - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ فَضْلِهِ عَلَى الْعِبَادِ، إِذْ سُخْنَرَ لَهُمُ الْإِبْلِ
لِلرُّكُوبِ وَالْأَكْلِ، وَقَدَرَ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٍ كَالْأَلْبَانِ وَالْجَلُودِ وَالْوَبِرِ، وَلَتَبْلُغُوا
بِالْحُمُولَةِ عَلَى بَعْضِهَا حَاجَةً فِي أَنْفُسِكُمْ مِنَ الْوَصْولِ إِلَى الْبَلْدَانِ الْبَعِيدَةِ،
وَعَلَى هَذِهِ الْأَنْعَامِ فِي الْبَرِّ، وَعَلَى السُّفُنِ فِي الْبَحْرِ تُحْمَلُونَ. وَيُرِيكُمُ اللَّهُ تَعَالَى
دَلَائِلَهُ الدَّالِلَةُ عَلَى وَحْدَانِيَّهُ، فَأَيَّ تِلْكَ الدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ تُنَكِّرُونَ؟!

٨٢ - ٨٥ - أَوْلَمْ يَعْتَبِرُ هُؤُلَاءِ الْمُشَرِّكُونَ فِي أَسْفَارِهِمْ بِمَا يَرَوُنَ مِنْ آثارِ
دِيَارِ الْمُكَذِّبِينَ، فَيُشَاهِدُوْهُ عَاقِبَتِهِمْ وَمَا أَحَلَّ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ الْهَلاَكِ وَالنَّكَالِ؟
كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ أَعْدَادًا وَعُدَّةً، وَأَشَدَّ قُوَّةً فِي الْأَجْسَامِ وَالْبَطْشِ، وَأَقْوَى آثَارًا

في الأرض من الحصون والقصور، فما أغنى عنهم ما عَمِّروا في الدنيا، فحين جاءت هذه الأمم رسلاً لهم بالشائع والمعجزات فرَحَ الْكُفَّارَ بما هم عليه من العلم الدنيوي وأغترُوا به، فنزل بهم عقاب كفرهم واستهزائهم بالرسل والآيات العظيمة. فلَمَّا رأوا شَدَّةَ العذاب وعاينوا أهواه قالوا: صَدَّقْنَا بِاللهِ وحده، وَكَذَّبْنَا بِالْآلهَةِ الَّتِي كَنَّا نعبدُهَا مَعَ اللهِ تَعَالَى. فلِمَ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكُ الإِيمَانُ حِينَ شَاهَدُوا شَدَّةَ العذابِ. سَنَّ اللَّهُ سُنَّةً قَدْ سَبَقَتْ فِي عِبَادَةِ أَلَّا يَقْبَلَ الإِيمَانُ وَالتَّوْبَةَ حِينَ نَزُولِ العذابِ، وَخَسِرَ الْمَكْذُوبُونَ بِاللهِ أَنفُسَهُمْ وَقَتْ نَزُولِ العذابِ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تنكير ﴿رُسُلًا﴾ مفيد للتعظيم والتکثير، أي: أرسلنا رُسُلًا عدُّهم كثير، و شأنهم عظيم.
- ٢ - عَرَفَ اللهُ بِأَسْمَاءِ بَعْضِ رُسُلِهِ وَأَنْبِيائِهِ فِي الْقُرْآنِ، وَلَمْ يُعَرَّفْ بِالكثيرِ مِنْهُمْ.
- ٣ - في الآية (٨١) إخبار مستقبليٌ عن مشاهدة دلائل قدرة الله تعالى في الماضي والحاضر والمستقبل.
- ٤ - الإشارة إلى نعم الله تعالى على عباده في تسخيره لأنواع المراكب للإنسان.
- ٥ - التحذير من تأخير الإيمان بالله تعالى عند رؤية عذابه.